رأي تولستوي
في الحجاب والزواج وما بينهما

قال الفيلسوف في الطلاق والحجاب: إن السبب في مسألة الطلاق التي تشغل الآن الرأي العام في أوروبا هو التمدن الذي لم يقتبس الإنسان منه سوى الحمق والخلاعة، هذا هو السبب الحقيقي في ازدياد الطلاق نموًّا كل يوم، فلا يمضي على زواج امرأة برجل ردح من الزمن حتى تقول له: حاذر أن أتركك وأمضي إلى حال سبيلي، سرى ذلك من الربوع العالية في المدن إلى أكواخ الفلاحين، فالفلاحة لأقل شيء تقول لزوجها: خذ قمصانك وسراويلك؛ لأني تاركة

لك، وذاهبة مع حبيبي يوسف الـذي يفوقـك حسـنًا وبهاءً.

هذا لأن المرأة خلعت ثياب الحشمة واحترام الـزوج، وخرجت من دائرة الخضوع له، تلك الواجبات التـي ينبغي أن تبقى عليها حتى انقضاء الأجل.

على الرجل أن يكد ويشـتغل، ومـا عـلى المـرأة إلا أن تقيم في البيت؛ لأنهـا زوجـة، أو بعبـارة أخـرى إنـاء لطيف سريع الانثلام والانكسار.

على الرجل أن يراقـب سـلوك امرأتـه ولا يطلـق لهـا العنان؛ بل يحجبهـا في البيـت، والبيـت دائـرة حريـة واسعة للمرأة، ثم ختم هـذه السـطور بمثـل روسي؛ وها هو:

لا تـركن إلى الفـرس في الغـيط، واركـن للمـرأة في البيت.

وقال عن الحب والزواج: إن دوام الحب بين الزوجين من رابع المستحيلات، إنه قد يكون حـب؛ ولكـن إلى وقت قصير جدًّا، ثم لا يدوم إلا في الروايـات فقـط، وأما بين الناس فعديم الاستقرار في قلبين معًا، وكـل رجل — متزوجًا كان أو غير متزوج — إذا اجتـازت به غادة فتانة فأكثر ما يكون منه أن يوجه إليها التفاتة، وقد يبذل بعضهم كل مـرتخص وغـال بعـد ذلـك في سبيل الوصول إليها، والمرأة من هذا القبيل كالرجل؛ فإنها تجتهد للاتصال بأكثر من واحـد دائـمًا، ومـا دام يمكنها هذا الاتصال فهي نائلة أربها لا محالة.

إذا قلنا: إنه يمكن للمرأة أن تحب زوجها طول الحياة فما مثلنا في ذلك إلا مثل من يوقد شمعة وهو يعتقد أنها تدوم مضيئة طوال الدهر.

إن الزواج أصبح في عصرنا هذا بيننا محض خداع، ولكنه لا يزال يوجد عند أولئك الذين يرون فيه سرًّا من أسرار الدين؛ كالمسلمين، والصينيين، والهنود، أما نحن فلا نرى فيه غير تلك المقارنة الحيوانية.

الزوجان يخدعان الناس بأنهما يعيشان معًا في ارتباط عائلي حقيقي بالزواج، يظهر كذلك أمرهما في الخارج لكل من رآهما، وأنهما سيبقيان في تمام الوفاق ما دامت الحياة، والحقيقة أنهما يعيشان على قاعدة تعدد الزوجات، ولكن من الجانبين وبهذا التكافؤ قد

يتفقان زمنًا، وعلى الأكثر إن كليهما في الشهر الثاني يهدد صاحبه بالطلاق، وقبلما يتمكنان من وسائله، وعن ذلك تصدر الأفكار الخبيثة الجهنمية التي ينجم عنها إطلاق الرصاص انتحارًا أو قتلًا أو دس السم وما أشبه.

وقال في الفساد المنتشر بين الناس: وتفسد أخلاق الشاب في المدرسة؛ لأن جميع رفاقه فسدة الأخلاق يصحبونه معهم إلى أندية الرجس فيفقد طهارته وعفته من حيث لا يدري، إن في فعله هذا ما يخالف الآداب والفضيلة، تفسد أخلاق الشاب من أول نشأته؛ لأنه لا يسمع من مرشديه أن الفسوق محرم، بل بالعكس يسمع أن صحة الجسم تستلزم بعض

الشيء، وجميع المحيطين به يقولـون: إن الوقـوع شيء طبيعي قانوني مفيد للصحة، وفاكهة الشباب الحلـوة، لهذا كله لا يدرك الشاب أنه سائر في طريق الضـلال، بل يقطع الطريق الطبيعية التي يسير فيها كـل صـحبه وأفراد الوسط الذي يعيش فيه، فيبـدأ بالفحشـاء كـما يبتدئ بشرب المسكر والتدخين.

وأنا أعرف أمهات كثيرات يعتنين بـأمر أولادهـن في هذا الطريق؛ رعاية لصحتهم، بقي عـلى الشـاب أمـر واحد يخشـى عاقبتـه مـن ارتكـاب الموبقـات، وهـو العدوى من المرض المشهور، غـير أن الحكومـة التـي تهتم بصحة رعاياها لم تدع مجالًا للخوف؛ فإنها بهمـة فائقة تعتني اعتناءً تامًّا بالمواخر، والأطباء كهنة أصنام

العلم، يراقبون المومسات لقاء أجور يتقاضونها، وهم من جهة أخرى يفتون للشباب بضرورة الاجتماع ولو مرة في الشهر؛ مراعاة لقانون الصحة.

فهم على ذلك يرتبون سير الفحش ترتيبًا مدققًا ويضبطون دوائره ضبطًا «محكمًا.«

ليت الحكومة التي تهتم اهتمامًا عظيمًا بإزالة الزهري معالجةً تستعمل جزءًا من مائة من ذلك الاهتمام من إزالة المومسات؛ فيصبح إذ ذاك في خبر كان.

وقال في حفلات الرقص الساهرة: يجري بيننا وتحت نظرنا من الأمور السافلة ما لا طاقة لذي ناموس وشرف على احتماله، يزورنا رجل لا نجهل من سيرته شيئًا؛ فنستقبله أحسن استقبال، وعندما يدخل قاعة

الضيوف يجالس أختي أو ابنتي أو قرينتي؛ حيث يتركني وشأني، أو أتركه وشأنه، وربما أعرف من سلوكه وتصرفاته ما أعرف، فكان يلزم — والحالة هذه — أن أتقدم إليه عند قدومه، وأتنحى به جانبًا، وأقول له هامسًا: إني يا صاح أعرف أحوالك، وأين تصرف لياليك، ومع من، فليس لك عندنا مكان؛ لأن فتياتنا طاهرات.

كذا كان ينبغي أن يفعل كل واحد منا، ولكنا نجري على العكس مما تقدم، فإذا اجتمعنا مع هذا الرجل في ليلة راقصة؛ كان له أن يرقص مع أختي أو ابنتي؛ ويعانقها ويخاصرها، نراه بأعيننا، ونشاهد حركاتهما معًا؛ غدوًّا أو رواحًا، وميلًا واهتزازًا، ولا تشمئز منه

نفوسنا؛ بل نتساءل إذا كان حرًّا لنسعى في تزويجه بإحدى بناتنا، ولو كان أثر المرض باديًا عليه.

ثم قال عن الأزياء، وحالة الطبقة العالية من نساء أوروبا: إننا لو أمعنا النظر في معيشة نساء الطبقات العليا كما هي من قلة الحياء والخلاعة لا نجد ثَمَّ فرقًا بين البيت الذي يضمهن، ونادي مومسات مختلط.

ولكن الناس لا يوافقونني على كلامي هذا، فأنا إذًا أقيم لهم برهانًا حسيًّا:

هم يقولون إن نساء هيئتنا الاجتماعية يعشن بحالة تخالف معيشة المومسات، وأنا أخالفهم في ذلك وأقول: إذا كانت النساء تختلف في حالة المعيشة الداخلية، فمن الحقائق المقررة أن ما يكون خارجًا

منهن أثر المعيشة في الداخل، وهـذه يلـزم أن تخـالف معيشة المومسات من كل وجه، ولكن أنا لا أرى فرقًا كبيرًا بين معيشة الفريقين في الخارج، قابلوا أيها الناس بـين المومسـات وبـين نسـاء الطبقـة العليـا تجـدوهن متفقات في الهيئات والأزياء والروائح العطرية وإعراء السواعد والمناكب والصدور، ووضع الوسادة خلف الظهر أينما جلسـن وأينما ركـبن، وفي اقتنـاء أنفـس الجـواهر والحجـارة الكريمـة اللماعـة، وفي المـراقص والغناء. وكما أن المومسات يسـتعملن كـل الوسـائط الفعالة لغواية الشبان وجذبهم واستمالة النفوس حتى يصبو لهـن كـل راءٍ، كـذلك نسـاء الطبقـات العاليـة يفعلن في وسطهن.